قصة : سعيد صبحي الصفاني

أطرق « حمدى » فى خجل وهو يلمح نظرات الاستنكار تخترقه من كل اتجاه من أبيه الجالس امامه ، وأمه التى تجلس بجانبه ، وشقيقته الكبرى .. سبب المصائب التى حلت به .

لم يفعل شيئا رديئا يستحق عليه كل هذا ، لقد طلب فقط حذاء جديدا، لأن حذاءه الحالى أصبح باليا وفى حالة لاتسمح له بالاستمرار اكثر من ذلك خطوة واحدة .

ومع هذا ... هم يستنكرون منه هذا الطلب !!! . وفى هذا الوقت بالذات ـ لماذا ؟ ... جهاز أخته الذى يكلف العائلة مالا تطيق والذى جعل أباه يستبدل بضعة جنيهات من معاشه حتى يسد هذه البالوعة التى فتحت ولا يعرف كيف يسدها .

(حمدى) تلميذ فى الاعدادية ، وغاوى كرة قدم ولا يستطيع أن يستغنى عن اللعب ابدا ، ـ حتى ولو شنقوه ـ ، وهذا ما كاد أن يفعله أبوه فعلا . عندما اكتشف أن هذه الهواية المفزعة تكلفه ثمن حذاء جديد كل بضعة أشهر .. مما يؤثر على ميزانيته التى أصبحت فى حالة من الارتباك ليس لها مثيل .

ـ انت أعمى ؟ !.

ـ حط فى عينك حصوة ملح ..

ـ نجيبلك منين ؟ ..

هكذا انفجروا فيه جميعا عندما عرض عليهم حذاءه البالى .. وطلب منهم حذاء جديدا .

انه ليس بأعمى ، ولا قصير النظر . فقط .. هو يريد الحذاء ليذهب به الى المدرسة صباحا ... ويلعب الكرة مع رفاقه بعد الظهر ... هكذا يفعل كل الصبية .. فلماذا يشذ هو عنهم ؟ ومادخله فى جهاز أخته ورفاقها ؟ ولماذا يتحمل تضحيات بسببها ، وقد كانت تضربه وتشتمه بمناسبة وبغير مناسبة ...

صحيح ان اخلاقها تغيرت بعد الخطوبة ... ولكن آثارا من شراستها مازالت عالقة بها .. وهى آثار كافية لأن تنكد عليه حياته .

لن أتنازل عن طلب الحذاء مهما قالوا .. ومهما فعلوا ... هكذا صمم (حمدى) وعزم عزما أكيدا على تنفيذ تصميمه .. لن يخضع ولن يدعهم يتغلبون عليه ويجبرونه على الذهاب الى المدرسة بحذاء مرقع ويحرمونه من لعب الكرة .

ووقف فى سطح الغرفة ينظر اليهم بتحد وصاح فى ثورة

ـ عايز جزمه جديدة .. والا مش حروح المدرسة بكره ...

وفوجىء حمدى بصوت أمه الساخر يرد عليه فى هدوء .

ـ هيء .. بتناقص ... يعنى حتجيب السبع من ديله ؟!

وقال له أبوه فى ضيق

ـ اللى بينفع بينفع نفسه .

اما أخته فقد نهضت ثائرة وهى تصرخ فى وجهه

ـ عايز تطلع صايع ؟ .. طول عمرك خايب ... ودلوقت عامل الجزمة حجة عشان ماتروحش المدرسة ...

وجلست أخته وتركته يقف مذهولا يرقب علامات الرضا والاستحسان فى ملامح والدته .

هؤلاء الناس ، لماذا لا يفهمونه ويصرون دائما على اغاظته ؟ ان حذاءه

لن يكلفهم نصف ثمن واحد من تلك الاوانى النحاسية العديدة التى اشتروها لاخته ...

لماذا لا يصنعون هم فى اعينهم حصوة ملح ويروا حذاءه البالى ؟ ... وهل يشرفهم أن يذهب الى المدرسة مهلهل الثياب وابوه موظف فى الحكومة ؟ ..

ان المعلم (حسان) صاحب «المجيرة» يرفض ان يقبل هذا لابنه رغم أنه احبب حارس مرمى فى الحى كله .

وشعر باليأس ، وبالدموع تتحجر فى مآقيه ، فانطلق من الغرفة لا يلوى على شىء .

وعند ما اطمأن الوالد الى خروج الابن من الغرفة ، التفت الى زوجته قائلا

ـ الولد عنده حق يافهيمه .. الجزمه مقطعة خالص ودايبه أوى .. دا برضه فى وشنا .

ولوت الأم بوزها ، ورسمت حاجبيها فى وضع خاص قائله فى ضيق

ـ اذا كان معاك ... هات له .

ورد الاب وهو يرمقها فى غيظ

ـ ما انتى عارفه البير وغطاه ... لازم أتكلم يعنى ؟

وأشاحت الأم بيدها فى غضب

ـ انت حر باه مع ابنك ... اعمل اللى تعمله .

وثار الأب وهو يرى طريقة زوجته فى الرد عليه

ـ انتى عاملة لونة فى بلد قرفانه ليه ؟ مش كفايه انتى وبنتك خاربين بيتى .. طالعين فى العالى ... وقاسمين وسطى وبرضه مش عاجب .. وحته جزمه للولد مش عارف اجيبها له .

وانطلق من الغرفة غاضبا . واعتكف فى غرفة نومه راقدا فوق الفراش وهو يرفر فى ضيق وغيظ . لقد نفد صبره ولا يستطيع الاحتمال اكثر من هذا . أفلسته هذه المرأة المجنونة هى وابنتها الحمقاء . لقد استبدل ثلاثه جنيهات من المعاش حتى الآن . بعد أن ضيع الجنيهات القليله التى كان يدخرها فى دفتر البريد على الجهاز الفخم الذى تصر ابنته عليه .

لم كل هذا ؟ وممن ستتزوج ؟ انها لن تتزوج أبا زيد الهلالى على أى حال .. اى شىء مستور كان يكفى .. لم الفشخرة اذن ؟ ولمصلحة من ؟ ..

الولد الغلبان ، ذكى ونبيه . لماذا اهمله كل هذا الوقت ؟ صحيح أنه شقى وعفريت لكن كل الصبيه هكذا . وهو لم يطلب منه فى يوم ما الا الشىء الضرورى . ومع ذلك فقد كان يبخل عليه فى احيان كثيرة ليفرغ ما فى جيبه فى البالوعة التى فتحتها له زوجته وابنتها .

وأخذ يعيد التفكير فى وضعه كزوج ، مهضوم الحق . مسلوب الارادة . فيشعر بثورة عارمة تفور فى صدره ، وبغيظ يكاد يشقه ويشطره . وتمنى لو دخلت عليه زوجته الآن لينفجر فيها ويصب فوق رأسها غضبه وثورته .

ونزل حمدى الى الشارع يسير بخطوات متثاقلة وهو يشعر بالضيق والقهر والحزن يكادان يعصرانه عصرا .

لماذا يعاملونه وكأن هناك ثأرا بينه وبينهم .. وأبوه .. لماذا يشترك معهم

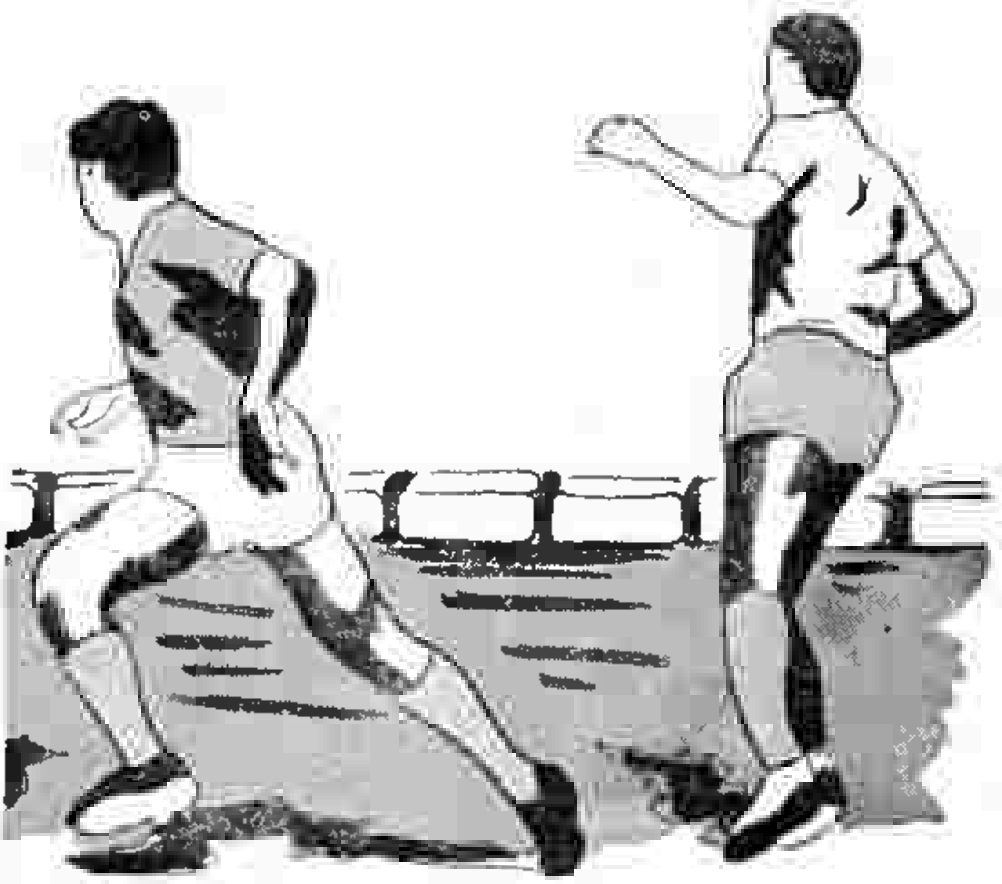

.. ان أباه رجل طيب ... وهو يحس هذه الطيبة فيه وان لم يكن قد لمسها منه ، ويشعر انه مغلوب على أمره مثله ، كلاهما ضحية سيطرة أمه التى تريد أن تصرف الامور على هواها وحسب مزاجها . ولذلك .. فهى تذلل احتته وتقربها منها . وتعامله هو فى غلظة وجفوة . والقى نظرة على الطريق كان قد وصل الى الشارع الخلفى الذى يتخذه هو واصدقاؤه ملعبا لهم . يصرفون فيه الطاقة الحيوية الضخمة الكامنة فى أجسادهم الفتية . سواء فى مباريات كرة القدم التى يغرم بها معظم صبية الحى . أم فى اية العاب أخرى تنفتق عنها اذهانهم الخالية المنطلقة .

وكان الشارع فى ذلك الوقت مهجورا . فالساعة الآن الثانية . والشمس حامية . وجميع الاصدقاء قابعون فى البيوت فى انتظار أن تنكسر حدة الشمس . فينزلون الى الشوارع بكراتهم الشراب والكاوتش ، يبثون فى جميع الاركان ، يلعبون ويقفزون ويمرحون ويزيطون .. وكان الدنيا أصبحت عالما مغلقا عليهم .

وهبط (حمدى) بنظراته الى حذائه وتأمله فى أسف وحزن . وزاد احساسه بالذلة والمهانة . وتذكر أن عليه أن يختفى اليوم عن أعين الاصدقاء . حتى لايدعونه الى اللعب معهم . ويضطر حينئذ أن يخترع لهم مبررا لرفضه اللعب يكفى لاقناعهم . خاصة وهو أكثر أبناء الحى نبوغا فى كرة القدم . حتى ان الكبار من طلبة الثانوى والجامعة يشركونه فى اللعب معهم فى مبارياتهم الكبيرة التى يلعبونها يوم الجمعة على

الكئوس العصبية المتواصلة التى يساهمون جميعا فى ثمنها الذى لايتجاوز عادة جنيها أو اثنين .

وعاد مرة أخرى الى تأمل حذائه فى حسرة وألم وغيظ .

واختار .. لم يكن يعرف أين يذهب بعد أن خرج من البيت غاضبا دون أن يتناول غداءه انه لايستطيع أن يذهب الى جدته . والا أسرع أحد أعمامه الى اعادته لابيه خوفا من غضبه وثورته التى يتقون شرها . وشعر برغبة خبيثة للضحك عندما جال هذا الخاطر بذهنه. ابوه قاس أشد القسوة مع جدته واعمامه . ورخو الى درجة فظيعة أمام زوجته . كيف هذا ؟ .. لاجواب . أو هكذا تهيأ له .

وتلفت حوله . فرأى نفسه قد وصل الى أحد الميادين الكبرى وقد بدت الحركة فيه سريعة مجنونة على خلاف شارعهم الهادىء المستسلم للنعاس فى هذا الوقت من النهار .

سيارات الاتوبيس . وعربات الترام . والسيارات الخاصة . وناس يجرون هنا وهناك وكان ماردا ضخما يجرى وراءهم يعصا غليظة يهددهم بالقضاء اذا عن لهم أن يتباطأوا أو يتكاسلوا .

وشعر برغبة ملحة فى الهرب من هذا الضجيج المرعع . ويبعد عن هذا السباق المجنون الذى لايدرى علته . ويقطع عليه تفكيره فى حالته المؤسفة .

وعرج على شارع جانبى هادىء . الا أنه لمح فى آخره زحاما شديدا تتعالى من وسطه صيحات وصرخات غير مفهومة . واحس بشىء يدفعه الى أن يعد السير ويسرع الى مكان هذا التجمهر ليدرك سببه .

وعندما اقترب منهم عرف السبب . فقد كانت احدى مباريات كرة القدم الهامة كتلك التى تجرى عندهم فى الشارع أيام العطلات ، وبحث عن ثغرة له وسط الجموع التى تحلقت حول الملعب الاسفلتى الصغير . واضطر أن

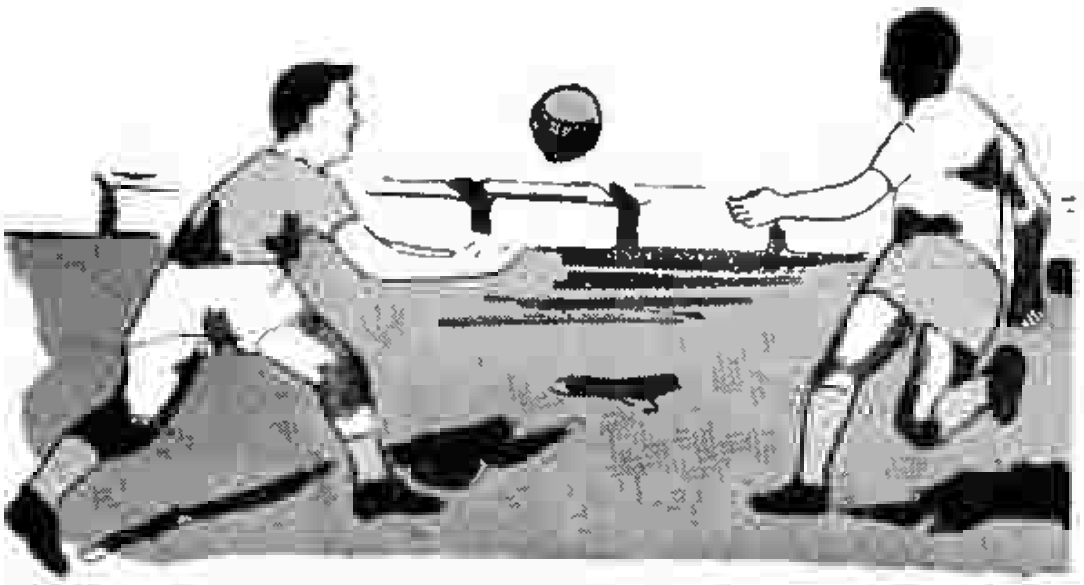

يحشر نفسه بين بعض المتفرجين حتى وصل الى مكان يطل على الملعب . يمكنه من مشاهدة المباراة واللاعبين بوضوح . وانهمك على الفور فى متابعة الكرة . وارجل اللاعبين تلطمها فى قسوة . وهى حائرة بينهم لاتعرف لها مستقرا. أما اللاعبون انفسهم فقد كانوا يتصببون عرقا .والتصقت فانلاتهم وقمصانهم باجسادهم التى تلمع تحت وهج الشمس .

ولفت نظره منضدة خشبية صغيرة على الرصيف المقابل وضع فوقها كاس فضى صغير ... وجلس وراءها شاب بدين ، لايبدو على ملامحه حماس كبير للمباراة التى تجرى امامه . بل كان واضحا أن لاعلاقة له بهذه اللعبة اطلاقا .

واراد أن يعرف النتيجة ـ فقد كان واضحا انه وصل متاخرا . فنظر حوله يتامل وجوه الاشخاص الذين يقفون بجانبه ، فوجد على يمينه رجلا نوبيا اسمر يلبس جلبابا ابيض وطاقية بيضاء . فساله فى خجل .

ـ هى النتيجة كام ؟

ونظر اليه الرجل باستغراب ثم قال له بسرعة حتى لايفوته شىء من المباراة

ـ النمر الذهبى غالب اربعة اتنين .

واراد ان يسأله أى الفريقين هو النمر الذهبى .. الا أنه خجل عندما وجد الرجل منهمكا فى متابعة المباراة. فعاد الى متابعة الكرة بدوره . تتقاذفها الارجل والرؤوس فى حمية وحماس . ووقع أحد اللاعبين على الارض. وانطلقت صفارة الحكم ـ الذى لم يكن قد رآه حتى هذه اللحظة ـ وتوقف اللعب . ونزل بعض الواقفين على الرصيف الى الملعب الاسفلتى وتحلقوا حول المصاب وهم يرمقون لاعبا آخر فى غضب .

لكن اللاعب المصاب قام بعد مدة قصيرة يعرج قليلا ويتمشى حيثة وذهابا . فلما اطمأن الى قدرته على اللعب صفر الحكم ... وعادت الكرة الى مواصلة رحلة العذاب التى لاتعرف لها نهاية ..

وشعر حمدى بالرجل النوبى يوجه اليه الحديث

دايما نادى النجمة كده .. كل ما يتغلب .. يلعب ناشف .

ونظر (حمدى) اليه فى شرود . وهز رأسه علامة الموافقة .. اذن .. فالمصاب من فريق النمر الذهبى ـ عال .. يستطيع الآن أن يتابع المباراة على نور . لكن صفارة الحكم انطلقت فى صرخة طويلة تنهى المباراة .

وفى سرعة البرق . وجد نفسه مدفوعا وسط الشارع تحت ضغط الجماهير الصاخبة التى هجمت على المنضدة تحاول أن تنتزع الكاس من يد الشاب البدين التى تقلصت عليه فى ذعر وخوف . خشية أن يسرقه سارق فى وسط هذا المولد . وارتفعت الهتافات . وعلت الصرخات . وامتلأ الشارع بهستريا صاخبة مجنونة ...

وبلا وعى اندفع (حمدى) يشارك فى هذه (الهيصة) . يهتف ويصرخ دون شعور . ويلوح بقبضته فى الهواء كانه يتوعد عدوا مجهولا .

وفجاة انقلب كل شىء . ووجد

(حمدى) نفسه . وسط قطيع من الجماهير المذعورة التى تجرى بلا وعى . وكان القيامة قد قامت . ولمح احدى عربات شرطة النجدة تدخل الشارع بصفارتها الراعقة المولولة . وعندئذ . لم يجد بدا من أن يجرى هو الآخر ليفقد بجلده . فقد كانت رؤية أحد رجال الشرطة كافية لان تصيبه بالانهيار .

وأخذ يجرى بدون توقف حتى تقطعت أنفاسه . فابطأ من سيره وهو يتلفت حوله خشية أن يكون قد لحق به أحد . ولكنه لم ير سوى الدوبى . جاره فى المبارة . وقد أخرج منديلا من جيب جلبابه وأخذ يمسح به وجهه الاسمر اللامع . وعندما لمحه الرجل قال له فى غضب :

ـ الراجل اللى اسمه أشرف ده مش حايبها الر .. كل جمعة يجيبلنا عربية النجدة ..

تفوتش شارع أبوه ..

ونظر اليه (حمدى) لاهث الأنفاس ولم يقل شيئا . فتركه الرجل وانصرف .

وعندما هدأت أنفاسه . شعر بمرودة خفيفة فى كتفه الأيمن . وألقى عليه نظرة فوجد كم قميصه قد انخلع من كتفه . وظهرت حمالة الفانلة البيضاء

مشكلة أخرى ... هكذا فكر (حمدى) . فهو لم يكد ينتهى بعد من مشكلة الحذاء . وإذا به يواجه هذا الاشكال الجديد الذى لايعرف له حلا ..

لاشك أنهم سيقذفونه من الشرفة عندما يدخل عليهم هكذا . وستجدها أخته فرصة للشماتة والتشفى . ولمزيد من السخرية والتريقة .

واحس بالغيظ . ولعن حظه العس الذى يأبى الا أن يخذله فى أحرج الاوقات . ماذا يفعل الآن فى هذا الكم المقطوع ؟ .

ولم يكن فى حالة تسمح له بالاجابة على هذا السؤال . أو أية أسئلة أخرى . فقد كان التعب يهد جسده الغض . والحزن يمزق نفسه القلقة .

وعندما اكتشف أن قدميه تقودانه الى البيت . لم يستطع أن يمنعهما ، فقد ينس .. ولم يعد أمامه الا أن يسلم أمره لله . وليحدث ما يحدث ..

وفتحت أخته باب الشقه . وعندما لمح وجهها المكهرب . أيقن أن اليوم لن يمر بخير . فقد كانت سحب الشر تتجمع لتنقض ـ على ما يبدو ـ فوق رأسه المتعب .

واتجه الى غرفته . وخلع ملابسه فى هدوء ـ وارتدى بيجامته . ثم جلس على حافة الفراش . وعند ملامسة جسده المتعب للفراش المريح أحس بالنعاس يهاجمه بعنف . فألقى بجسده فوقه وهو يتنهد بعمق . لكن باب غرفته فتح فجأة وقفت أخته تقول له فى غيظ .

ـ مبسوط يا بوز الاحص . أهى ماما اتخانقت مع بابا عشانك .

ولم يرد عليها لأن النوم كان قد حمله الى عالم آخر .

سعيد صبحى الصفانى